

العقيدة الإسلامية - الدرس (١١-٦٣) : الإيمان بالله عن طريق الفطرة وعن طريق الأدلة.

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١١-١٩٨٦-٢٣

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### إذا وجد ريب أو شك في معتقدك الإيماني فأنت لست مؤمناً:

أيها الأخوة، وصلنا إلى صميم بحث العقيدة وهو الإيمان بالله، يقول ربنا سبحانه وتعالى:  
(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

(سورة الحجرات الآية: ١٥)

فهذا الذي يجد في نفسه ريباً ليس مؤمناً، وليس في الإيمان حل وسط، فإما أنك مؤمن إيماناً قطعياً ولو أن أهل الأرض كلهم كفروا فأنت لا تكفر، وإما أن يكون في هذا الإيمان ريب أو شك أو تردد فهذا ليس بإيمان والدليل القاطع قوله تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)

(سورة الحجرات الآية: ١٥)

فلو أنهم ارتابوا لفقدوا صفة الإيمان.

### أدلة الإيمان بالله:

#### ١- دليل الفطرة والبداية ومن آثارها:

الإنسان بفطرته التي فطره الله عليها مؤمن بالله، واليوم درسنا مقسم إلى قسمين:

١- الإيمان بالله عن طريق الفطرة.

٢- الإيمان بالله عن طريق الدليل.

الفطرة: كأنها مرآة صافية نظيفة ينطبع عليها الشيء الذي أمامه وهكذا طبيعة المرآة إنها تعكس ما أمامها، فلو أن دخاناً كثيفاً طمسها لغير صفاءها، وغيّر قابليتها للانعكاس وعندئذ يأتي الدليل،

فالإيمان بالله عز وجل يمكن أن يكون عن طريق الفطرة السليمة، ويمكن أن يكون عن طريق الدليل العقلي والبرهان العلمي، وقد بدأنا الفطرة في دروس سابقة فبينما أن مسالك اليقين أربعة مسالك:

- ١ - اليقين الحسي.
- ٢ - اليقين الاستدلالي.
- ٣ - اليقين الإخباري.
- ٤ - ويقين الفطرة الإشراقي.

#### ١- ظهور إيمان الفطرة عند الشدائد:

الإنسان أي إنسان، كبير أم صغير، متعلم أم جاهل، غني أم فقير، قوي أم ضعيف، مدني أم ريفي، عبقرى أم غبي، بحسب فطرته مؤمن بأنه لا إله إلا الله كيف يبدو هذا؟ لو ركب البحر إنسان ملحد وإلحاده عميق، أي عنده ألف دليل ودليل بحسب تصوره الأخرق على أنه لا إله، فصارت الأمواج كالجبال وأصبحت السفينة تتهاوى بين



الفطرة توقظك لوجود الله

الأمواج كريشة في مهب الريح، عندئذ يلتجئ هذا الملحد إلى الله عز وجل، وهذه طائرة تحمل بضعة خبراء لا يؤمنون بالله، ينكرون وجوده فلما وقعت في عدة جيوب هوائية، وظن هؤلاء أن الطائرة على وشك السقوط دعوا الله مخلصين، فالإنسان مؤمن بالفطرة لكنه وهو في سلام، وفي بحبوحة، وفي غنى، وفي أوج وقوة يكابر.

شخص قال لي لقد نشأت في بيئة تنكر وجود الله عز وجل إنكاراً كلياً، وعملت عند شخص في حرفة، وهذا الشخص أيضاً ينكر وجود الله، أوحى إلي على أنه لا إله و افعل ما تشاء فالحياة اقتناص ملذات وهكذا فعلت، لم أترك معصية إلا وارتكبتها وعملت في التجارة فربحت مئات الألوف وتزوجت وسافرت إلى بعض الدول وفعلت فيها من كل أنواع المعاصي وفجأةً صودرت بضاعته وبقي بلا دخل وعليه دين، وصار أصحاب الدين يطالبونه بقسوة، مرض أولاده وزوجته وليس معه ثمن الدواء فضلاً عن ثمن الغذاء، وضافت عليه الدنيا فقال لي: أصابتنى مصائب لو أنها نزلت على جبلٍ لهَدَّتْه، وما شعرت في أحد الأيام إلا و أنا داخل إلى المسجد لأصلي فهذه هي الفطرة وصلّى.

إنسان آخر هذا عقيدته أنه لا إله و له أعمال مخزية جداً، وعنده بنت صغيرة في سن الورود مرضت مرضاً شديداً، وهذا المرض جعله ينفق كل ما يملك إلى أن قال له أحد الأطباء: لا تنتظر أن تعيش هذه الفتاة دعها كي تموت قال: فكنت أخذها معي إلى عملي خشية أن تموت في غيابي لشدة تعلقه بها و هو يصر أنه لا إله ارتفعت حرارتها وبقيت في الأربعين ولم يترك طبيب أطفال إلا وزاره، ولم يترك دواءً إلا واستعمله، وهذه الحرارة لا تنخفض، إلى أن همس في أذنه أحد أطباء الأطفال إن هذا المرض نادر الوقوع وإن هذه الحرارة لن تنخفض إلا عند الموت، قال: في أحد الأيام قلت لزوجتي سخني لي الماء لأغتسل للصلاة، و سأل زوجته: ماذا تقرئين في الصلاة؟ إنه لا يعرف الفاتحة، وتقول زوجته: بقي واقفاً نصف ساعة يبكي و يقول: يا رب إما أن تأخذها أو أن تأخذني أو أن تشفيها، ضيق الله عليه فظهرت فطرته فأين الإلحاد؟ أين دعواك العريضة أنه لا إله؟ وما أن سلم من صلاته حتى رأى حرارتها قد انخفضت بعد أن تصلبت عضلاتها و بدأت تتحرك.

أقول لكم هذه الكلمة: ما من إنسان ينكر وجود الله عز و جل إلا و هذا قوله يوم القيامة:

**(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِئْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ \* انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ )**

(سورة الأنعام الآية: ٢٣-٢٤)

فحينما أنكروا كانوا كاذبين و يكابرون، و يركبون رؤوسهم و يببالغون، والإنسان لا ينبغي له أن يأتي في الشدة، بل عليه أن يأتي في الرخاء، والبطولة أن تأتي إليه وأنت معافى وأنت في أوج صحتك وقوتك، ومالك، وفراغك، لا أن تأتيه بعد شدة بالغة تنهد لها الجبال.

## ٢- اضطراب الإنسان وشعوره بالراحة النفسية دليل على الفطرة بين جوانحه:

أيها الأخوة، الإنسان مؤمن بالفطرة وحينما يؤمن ترتاح نفسه وهذا هو الدليل، وحينما ينكر تضطرب نفسه، ويختل توازنه، ويضجر، ويسقم، ويسأم، وحينما لا يؤمن ترون منه ردود فعل قاسية جداً لأسباب تافهة وهذا دليل اضطرابه، وهذا عند علماء النفس دليل اضطرابه الداخلي لأنه خالف الفطرة، وهذا المحرك لا يعمل إلا بالوقود، فلو وضعت فيه ماءً لظهرت أصوات و اضطراب و لتوقف، وتشعر أن الوضع غير طبيعي، فالإنسان مؤمن بالفطرة، لا تفهموا من هذا الكلام أنه ليس هناك أدلة، بل هناك مليون دليل و دليل على وجود الله، وقبل أن نستعرض هذه الأدلة العلمية والبراهين العقلية نود أن نلفت النظر إلى أن الإنسان مؤمن بالفطرة.

## الاستشهاد بأقوال العلماء حول موضوع الفطرة:



قال العلماء:الطفل حينما يولد يملك منعكساً اسمه منعكس المص، ومنعكس المص عملية بالغة التعقيد، الآن ولد هذا الطفل ولو أنه بعد الولادة بساعة واحدة وضعته أمه على ثديها لالتقم الثدي ولأحكم إغلاق فمه على الثدي ولسحب الحليب، وهذه عملية معقدة كيف خلقت هذه الفطرة ؟ إن الطفل بالفطرة يتقن المص إتقاناً كاملاً. أما الحيوان فلأنه

ليس مكلفاً، ولم يخلق الله له فكراً، تراه مزوداً بمئات المنعكسات هذه يسميها العلماء الغريزة، وهي آلية معقدة جداً ولكنها جاهزة دون تعلم هذه الفطرة، بالنسبة إلينا بني البشر أطفالنا حديثو الولادة مزودون بمنعكس المص، وهذا المنعكس ليس له تفسير إلا الفطرة أي بفطرة هذا الطفل المولود يعرف أن يلتقم ثدي أمه، وأن يمص منه الحليب، وهذا من أدلة الفطرة، ودليل آخر:شعور الأم بعاطفةٍ جياشةٍ نحو ابنها من دون أن تعلم ما قيمة هذه العاطفة ؟ ولولا هذه العاطفة لما كنا نحن هنا.

## دليل الفطرة لا تحتاج إلى براهين وأدلة لأنها من المسلمات:

حينما أرى طفلاً أمه تعتني به وأبوه يأتي كل مساء بكل حاجاته، يكدح الأب ويسعى ويجهد ويتحمل المخاطر ويغامر إلى أن يأتي مساءً بكل حاجات البيت، وحينما يرى ابنه في دفءٍ ويرتدي ثياباً نظيفة ويأكل ما يشتهي، يشعر الأب بسعادةٍ لا توصف هذه هي الفطرة.

فلو حللنا هذه الفطرة لعرفنا أنه لولا هذا العطف لما استمرت الحياة وهذا إدراك عقلي، لكن الأب يشعر بهذه العاطفة من دون أن يبحث في تحليلاتها ومدلولاتها، فمن منا ينكر الأم عطف الأم إنه شيء ثابت فما الدليل ؟ لا يوجد دليل، وإحساسها بالعاطفة هو الدليل وإحساسها هو الفطرة، والإحساس الفطري لا يحتاج إلى دليل بل بديهى يسميه الناس المسلمات مبادئ لا تحتاج إلى

براهين، الكل أكبر من الجزء برهن عليها إنها واضحة كالشمس هذه مسلمة. شخص قال لي:وقعت بعجز مالي في عملي التجاري أي أخفقت، وضافت عليّ الدنيا، فالتقيت بتاجر في طرفٍ من



عطف الأم من الفطرة

أطراف البلاد البعيدة، وهذا التاجر ليس من ديني إنه من دين آخر، فقام هذا التاجر وأعطاني بضاعة بما قيمته خمسون ألف ليرة سورية وقال:خذ هذه البضاعة وبعها وحينما تشعر أنك وقفت على قدميك ادفع لي الثمن، فقال لي:أشعر أن قلبي ينفطر حباً له هذه هي الفطرة، أخوه النسبي لم ينجده وهذا الإنسان من بلدٍ بعيد علم بحالته وأمه بهذه البضاعة كي يقف على قدميه وهو من دين غير دينه فأحبه.

لا تعجبوا كيف فتح المسلمون البلاد ؟ فتحوها بأخلاقهم الكاملة فحينما كانوا مثلاً غلبوا في الخلق الكريم، أهل البلاد دلوهم على الطرقات، ويوجد جبال معقدة جداً فتجاوزها المسلمون شمال إفريقيا وآسيا وجبال وعره جداً، ولو أن أهل البلاد أبغضوهم لكانت هذه البلاد في حصن حصين و لكنهم لكما لااتهم ورحمتهم وعدالتهم فُتحت لهم القلوب قبل أن تفتح لهم البلاد، فالذي أعانهم على فتحها أبناء البلاد المفتوحة نفسها هذه هي الفطرة، فالأم تشعر بعاطفةٍ نحو ابنها من دون أن تعرف قيمة هذه العاطفة، ولولا هذه العاطفة لما كنا أحياء.

### واقع الناس أكبر دليل على حقيقة الفطرة في بحثهم عن الرزق أو الإحساس بالجوع أو غير ذلك:

جميع الناس مدفوعون بدافع من فطرتهم إلى كسب قوت يومهم وهذا دافع خفي، فعندما يفتح الإنسان محلاً وينطلق هذا المحل فإن نفسه ترتاح لأنه أمن رزقه وأكله، وإذا كان الموسم جيداً والقمح كثيراً يرتاح الفلاح لأنه أمن المؤونة فالفطرة هكذا، الإحساس بالجوع هل لك أن تنكره ؟ برهن عليه، أخي أنا جائع ما الدليل عليه ؟ إنه لا يحتاج إلى دليل، إحساس بالجوع صارخ فالإحساس بالجوع فطرة، لا أقول هذا الكلام لأنه ليس هناك أدلة على وجود الله، هناك ملايين الأدلة، لكن أحب أن أؤكد لكم قبل كل شيء على أنك إنسان بفطرتك مؤمن بالله وحينما لا تؤمن تصور مرأةً كانت صقيلةً نظيفة ذات قابليةٍ للانعكاس عالية جداً، جاءها دخان كثيف من شمعةٍ فطمست معالمها، وشفافيتها، وانعكاسها عندئذٍ الآن نحتاج إلى دليل فلو أن هذه المرأة صافية لما احتجنا إلى دليل.



الإحساس بالجوع من الفطرة

يحتاج الإنسان لأن يأكل شيئاً حامضاً فيكون عنده نسب الكلس عالية و الكلس لا يذوب إلا بالحمض، وقد يشتهي الإنسان سلطة فيها حمض زائد فما السبب ؟ أحياناً فتيات يأكلن الليمون، و قد يشمئز الإنسان من أكل الليمون، وقد ترى البنت تأكل الليمون بكل سرور،

تقطعه وتأكله مع الملح فما هو تفسير هذا الشيء ؟ السبب هو وجود مواد كلسية زائدة لديها، فربنا عزّ وجلّ لحكمةٍ بالغةٍ يخلق في الإنسان دافعاً نحو الحمض، وقد يشتهي الإنسان أكل الموالح فيكون عنده نقص بالمح، وأحياناً يشتهي أكل الحلو فيكون عنده نقص بالطاقة، فرغبة الإنسان لأنواع الطعام مبنية على حاجاته.

هناك علماء أتوا بعشرة أطفالٍ ووضعوهم في مختبرٍ أمام ألوانٍ متنوعةٍ من الطعام وعشرة أطفالٍ آخرين تولى خبراء في التغذية إطعامهم، أي تغذية مدروسة بالحريرات والبروتينات، والدهنيات، والسكريات، والمعادن وأشباه المعادن، والفواكه، واللحوم فكانت نتيجة الأطفال الذين أكلوا وفق رغبتهم الخاصة أن نموهم كان أفضل لأن الرغبة الخاصة مبنية على حاجة داخلية، فحينما تشتهي الطعام الحامض يكون عندك كلس زائد، وحينما تشتهي الموالح يكون عندك نقص بالأملح، وحينما تشرب الماء يكون دليلاً على نقص الماء بالجسم وهذا أيضاً إحساس بالفطرة، شعورنا بالعواطف والأحاسيس هذه كلها من الفطرة ولا برهان عليها، وشعورنا وحده هو الدليل.

### الشعور الفطري مشترك بين جميع الخلائق على الرغم من اختلاف الأديان والفروق الاجتماعية بينهم:

الشعور الفطري إحساس بين جميع الخلائق المدركة على اختلاف نزعاتها ومستوياتها وثقافتها في البيئات البدائية، وفي المدن المتحضرة، وفي منتديات المتقنين، وفي قاعات العلوم والفنون والمختبرات، إنه شعور مشترك بين جميع الناس، يقوم في نفس الطفل الصغير والإنسان البدائي والمتحضر، والجاهل، والعالم، والباحث، والفيلسوف، والعقري، والخبير في المعمل، وكل هؤلاء يشعرون أن الله حق، وأنه القوة القابضة على ناصية كل شيء والعالمة بكل شيء والحكيمة والمريدة التي لا شك فيها.

قرأت كلمةً لأكبر عالم في الذرة، وهذا العالم اكتشف أحدث نظرية حتى الآن اسمها النظرية النسبية قال هذا العالم: " كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوةً هي أقوى ما تكون، عليمه هي أعلم ما تكون، حكيمة هي أحكم ما تكون، هو إنسان حي و لكنه ميت ".

### الأدلة القرآنية تؤكد حقيقة الفطرة في الإنسان:

الآن إليكم بعض الآيات التي تؤكد هذه الحقائق:



(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)

(سورة إبراهيم الآية: ١٠)

هو الذي فطر السموات و الأرض فطرها على أن تؤمن به.

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

(سورة الإسراء الآية: ٤٤)

فالذي فطر السموات و الأرض فطرها على أنها تؤمن به بدافع من بنيتها وخلقها، وقال تعالى في آية أخرى:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الروم الآية: ٣٠)

## الفطرة موجودة حتى في النبات دليل ذلك ظاهرة نموها:

نقطة دقيقة جداً أتمنى عليكم أن تكونوا في مستواها، النبات أوضح شيء، ترى نبتة يقال لك إن هذه النبتة تحتاج سقيا في الأسبوع مرة فلو أكثرت عليها الماء تموت، وهذه النبتة تحتاج ثلاث مرات سقيا أسبوعياً، وهذه النبتة بالشهر مرة، وهذه النبتة لا تزدهر إلا في أشعة الشمس، فلو جلست مع صاحب حدائق لديه خبرات عالمية لوجدت أنه يعلم



فطرة الزنبق لا تنمو إلا في الماء

طباع كل نبتة، فهذه النبتة تحتاج إلى ظل وإلى شمس، وهذه تحتاج إلى ضوء، وهذه تنمو في البيوت في الغرف، وهذه تحتاج إلى سقيا كثيرة، وهذا النبات لا ينمو إلا في الماء كالزنبق الذي يجب أن يغمر في الماء، ربنا عزّ وجل خلق في النباتات شيئين: شيئاً ظاهراً ليعينك مثل طولها، وشكلها، وأوراقها، وألوانها، وأزهارها، وأشياء تكتشفها مع الأيام وهي طباعها وطباعها هي الفطرة التي فطرها الله عليها أي حاجاتها وأنواعها ومواسمها وأوقات ازدهارها أي أشياء دقيقة جداً، فمثلاً بعض النباتات يزهر مرتين في السنة، وهذا النبات تسقط أوراقه، وهذا أزهاره فواحة،

وهذا أزهاره ليست لها رائحة، وهذا أوراقه كثيفة، وذلك أوراقه مبعثرة، فطرة الله التي فطرَ النبات عليها، وهذه خبرة الفلاح وكل نبات يعرف طباعه، فالتفاح ينمو في المرتفعات، والحمضيات في السواحل، وهذا ينمو في أفريقيا ويحتاج إلى رطوبة عالية، وهذا النبات ينمو في الصحراء فالشوكيات كلها صحراوية، وهذا النبات قطبي وهذا نبات ينمو في قاع البحر، وفي الأنهار وهذه هي الفطرة لكل مخلوق.

### ٣- انحراف الفطرة وموتها:

الإنسان مفطور على حب الكمال، ومفطور على حب الإحسان، وقد خلق ضعيفاً وعجولاً وهلوعاً هذه هي فطرته قال تعالى:

**(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**

(سورة الروم الآية: ٣٠)

هذه الفطرة فقد تنطمس بفعل انغماس الإنسان في الشهوات فيتحول هذا الإنسان إلى وحش بشري امرأة في فرنسا لها ولد، أغلقت عليه البيت وسافرت إلى عند صديقتها فمات بعد أسبوعين جوعاً وعطشاً، ويوجد حالات نادرة فهذه الأم تشوهت فطرتها. إنسان آخر دخل إلى بعض القرى و ذبح امرأته و أولاده الخمسة وهذا فطرته مشوهة.

موضوع الفطرة وهو موضوع طويل، لكن الإنسان من دون تعقيدات في بنيته النفسية وبطبيعته وطريقة خلقه وبفطرته التي فطره الله عليها مؤمن بالله، وهذا هو الأصل فإذا كفر أو إذا أنكر أو إذا ألد اضطربت نفسه واختل توازنه وقست ردوده وأصبح مريضاً. أشخاص ليسوا في مستشفى المجانين لكنهم قريبون جداً من الجنون، ترى أحدهم عنيداً لدرجة أنه يطلق امرأته لسبب تافه، ويفصل الشركة مع شريكه لأنفه سبب، ويقتل إنساناً لأن بقرته دخلت إلى أرضه وأكلت بعض الحشائش، هذه واقعة لكنها حالات نادرة.

### ٢- الإيمان بالله عن طريق الدليل:

#### ١- الكون بما فيه:

إذا تركنا الفطرة جانباً كان البحث العلمي بما فيه من استدلالٍ نظري واختبارٍ وتجربة سبيلاً إلى التعرف على حقيقة وجود الخالق جل وعلا. يوجد نقطة مهمة جداً في هذا الموضوع هذا الدين من



عند الله، الله سبحانه وتعالى عليم بكل شيء، وهذه المجرات والشمس والقمر والبحار والسموات والأسماك والأطيّار والنباتات والحيوانات وأي شيء مبني على علم بالغ، مثلاً الناموسة إذا وقعت على يديه لا يشعر بشيء إطلاقاً، لا بتأنيب الضمير ولا بشعور أنه قتل قتيلاً ولا بأنه ارتكب إثماً أو معصية، ولا أنه أزهق نفساً من غير سبب لتفاهتها عند الخلق، ومع ذلك هذه الناموسة فيها رادار، وفيها جهاز تحليل دم، و جهاز تمييع دم، و جهاز تخدير، و جناح يرف أربعة آلاف رفة في الثانية، وفيها ثلاثة قلوب، و محاجم، و مخالب، و ذكاء، فالناموسة تختبئ وراء الستار أو وراء السرير، إذا استيقظت وأشعلت المصباح فأين هي ؟ إنها تختبئ لأنها تعرف أنك غضبت منها وتريد أن تقتلها، تختبئ في مكان لا تراها فيه هذه الناموسة عندها علم.



الحوت كم فيه من علم ؟ وزنه تقريباً مئة وثلاثون طناً وطوله ثلاثون إلى أربعين متراً وفيه خمسون طناً دهناً، وخمسون طناً لحماً، وثلاثون طناً عظماً تقريباً، ويخرج منه تسعون برميلاً زيتاً، إذا أراد أن يتناول وجبة خفيفة فإنه يأكل ٤ طن و يرضع صغيره ٣٠٠ كغ حليب بالوجبة أي ٣ وجبات طناً حليباً باليوم الواحد، يرضع صغيره طن حليب، فهل الحوت مبني بلا علم ؟

العصفور ألا يوجد عنده علم ؟ فلقد قرأت في مجلةٍ عن الطيران أن أعظم طائرة اخترعت حتى الآن " الكونكورد " لا ترقى إلى مستوى الطير أبداً، اركب طائرة ٤٠٠ راكب وكأنهم في مدينة، أكل وشرب وحاجات ومقاعد كثيرة، وعلى ارتفاع ٤٠ ألف قدم، فهل الطائرة ليس عندها علم ؟ فالطائر أعظم من الطائرة البحار ليس عنده علم، السحب، والأمطار، والجبال، والمعادن وأشباه المعادن، الحقيقة إذا قلت علم الله عز وجل الفيزياء من علم الله، وهناك تجد كتاباً في آخره ثمانى صفحات مراجع بخط صغير يمكن أن تكون ثمانمئة مرجع، الفيزياء الكيميائية والكهرباء في الفيزياء، أو الصوت، أو الحرارة، تجد الفيزياء النووية والكيمياء العضوية واللاعضوية هذه علوم الله، والإنسان لم يفعل شيئاً سوى كشفها فالفلك والطب و الحيوانات والأسماك والأطيّار كل شيء اكتشفه العلم إنما هو من علم الله:

**(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)**

(سورة الإسراء الآية: ٨٥)

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

(سورة البقرة الآية: ٢٥٥)

فلو أنك ذهبت إلى مكتبة غنية تجد مئة ألف مجلد متعلقة فقط بالجسم، مثلاً كتاب ستة أجزاء عن القلب بالحرف الصغير، وكل جزء ثمانمئة صفحة عن القلب، لقد تصفحت كتاباً عن القلب منذ يومين، يشعر الإنسان بدهشة ويصعب عليه فهمه، وعن الرئتين، والدماع، والعضلات، و العظام. هذا علم الله و هذا دينه، أيعقل أن يكون دين الله فيه خطأ، أو فيه تناقض، أو فيه أشياء غير معقولة؟ هذا مستحيل انه خلق الله وكلام الله.

## ٢- العلم:

لا بد من تناسب بين خلق الله و بين كلام الله، دقة بالغة في كلامه، و تشريعه، و أنبيائه، و قرآنه، فالنقطة الدقيقة التي أريد أن أقولها: إن الحقيقة لا تخشى البحث أبداً مهما تقدم العلم بعد ألفي سنة، أو خمسة آلاف، لن يكتشف العلم حقيقة تعارض القرآن الكريم و مستحيل ذلك لأن هذا كلامه و هذا خلقه، فمن سابع المستحيلات أن يكتشف العلم شيئاً مناقضاً للدين أبداً، وكلما تقدم العلم ازداد قرباً من الدين.

التقيت مع طبيب جراح فقال لي كلما وجدت جرحاً إثنانياً مستعصياً شفاؤه أضع له العسل و هكذا درسنا في بريطانيا: يوضع العسل على الجروح الانتانية التي لا يرجى شفاؤها و خلال يومين يشفى المريض سبحان الله:

( تَمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْئَلِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )

(سورة النحل الآية: ٦٩)

وعندئذ أدركت أن العسل إلى أن يكون دواءً أقرب منه إلى أن يكون غذاءً، بل إن العسل كما وصف من قبل بعض العلماء " صيدلية كاملة " .

فالحقيقة لا تخشى البحث، لا تخف أن تقرأ مقالة في مجلة تنقض آية قرآنية، لأن خالق الكون هذا كلامه و ليس يعقل أن يكون في كلامه شيء مناقض لخلقها، وإذا كنت تُعرّف الناس بالله فقل لهم: أقرءوا ما تشاءون، اذهبوا أينما



العسل غذاء وشفاء كامل

شئتم، ناقشوا من نشاءون، يبقى الحق حقاً والباطل باطلاً، وفي مقالة قرأتها لم أنم الليل، لماذا ؟ قال:إنهم عرفوا نوع الجنين، هكذا بهذه البساطة الحقيقة لا تخشى البحث، لقد وجدنا جمجمة هي الحلقة المفقودة بين الإنسان و القرد و ذلك يعني أن نظرية داروين صحيحة كله كلام فارغ. هذا الذي لا يقرأ مشكلته مشكلة، وأخطر إنسان في المجتمع هو نصف العالم أخذ شهادة فظن نفسه عالماً الجهل مفيد لأن صاحبه متواضع يتعلم و العلم مفيد، و لكن الشيء الخطر أن تتعلم شيئاً و تغيب عنك أشياء، أن تظن نفسك عالماً و أنت لست كذلك، قرأ في البكالوريا عن نظرية داروين أن الإنسان أصله قرد فعلق ذلك بذهنه و الدين يعتبره خرافة شيء قديم، أي أن هذا الإنسان كان إنساناً و أصبح قرداً مسخ الآن، إذا كان الإنسان همه بطنه وهمه شهوته وليس عنده أية قيمة فإنه مسخ قرداً، أنا آمنت بها مؤخراً بشكل معكوس، كان إنساناً فأصبح قرداً.

فالحقيقة لا تخشى البحث، لا تخف و لو ذهبت إلى عواصم الكفر و لو التقيت مع أكبر العلماء لا تخش على إيمانك، لا يوجد وقت للإفاضة في هذه الموضوعات، علماء من كبار الملاحظة حينما قرءوا بعض آيات القرآن قالوا هذا الكلام من فوق من عند جهة فوق الكون، لأنه واضح، فالعلم اكتشف أن بلاد العرب كانت في القرون السحيقة بساتين و أنهاراً، فكيف عرفوا ذلك ؟ من المستحاثات، إذ يوجد مدن بكاملها في الربع الخالي مدفونة تحت الرمال، وجذوع أشجار ضخمة، ومستحاثات متحجرة، ورسوبيات أنهار، والعلم أيضاً بحسب معطياته الحديثة يتنبأ أن خطوط المطر تنتقل إلى أن تغدو بلاد العرب بساتين و أنهاراً، العالم الجيولوجي الذي قرأ هذا الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام:

**" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَكْثَرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا "**

(ورد في الأثر)

وفي القرآن يوجد إشاراتٍ كلما تقدم العلم اكتشف بعض الحقائق، إلا أن الإمام علي كرم الله وجهه قال: " في القرآن الكريم آيات لم تفسر والعلم كلما تقدم يفسرها " هذه الملاحظة الحقيقة لا تخشى البحث أبداً.

ديننا دين معقول مبني على العلم لأن الخالق عليم و هذا دينه فيه علم فلا يظن أحدنا أنه إذا تناقش مع كافر فسينهار أمامه، ولو أن لك إيماناً قوياً لا تخش به أن تواجه أحداً على وجه الأرض.

**إذا تعارضت حقيقة من العلم مع القرآن كيف تفسر هذه الظاهرة ؟**

لكن يوجد ملاحظة:لو أنك واجهت حقيقة أو واجهت شيئاً في العلم يناقض شيئاً في الدين، فكيف تفسر هذه الظاهرة ؟ هناك ثلاثة تفسيرات:

## ١- أن يكون البحث العلمي تحت ضوء التجربة ولم يصل إلى الحقيقة:

التفسير الأول: إما أن البحث العلمي لم يصل إلى مرحلة الحقيقة فهو نظرية، فنظرية داروين لن تنقلب إلى حقيقة، وإن هذه النظرية تُخالف ما جاء في كتاب الله فهي نظرية لم تثبت، بل إن أهل العلم في أوروبا أنكروها وتجاوزوها والآن يسخرون ممن يتكلمون بها، فالذي يقول بها الآن أقول له كلمة واحدة: معلوماتك قديمة جداً وأهل العلم في أوروبا سخروا ممن يدعيها، فإذا كان هناك تناقض بين العلم وبين الدين فلأن البحث العلمي لم يصل إلى مرحلة الحقيقة بل بقي في حيز النظرية.

## ٢- أن يكون المنقول عن الدين غير صحيح:

التفسير الثاني: أن المنقول عن الدين غير صحيح، مثلاً هناك ٢٠٠ ألف حديث موضوع فلو أنك قرأت حديثاً موضوعاً بأي كتابٍ أو قرأت حديثاً ضعيفاً و ناقضاً حقيقة علمية لا نفع شياً هذا الحديث ضعيف وقد تكون نسبة هذه الحديث ليست صحيحة، والحديث الموضوع يناقض العلم.

## ٣- أن نسيء فهم الدين بحيث يتعارض الفهم مع العلم:

التفسير الثالث: أنه وقع الإنسان في خطأ في تفسير الحديث وفهمه. فإما أن نسيء فهم الحديث أو أن يكون الحديث موضوعاً و إما أن تكون مرحلة البحث العلمي لا تزال في حيز النظرية، هذه هي التفسيرات التي يمكن أن تفسر بها التناقضات أحياناً بين العلم والدين.

## لا يمكن أن يوجد تناقض بين العلم والدين مهما تقدم العلم واكتشافاته:

الحقائق المقطوع بها في الدين، والنتائج التي يتوصل إليها العلم بطرقه اليقينية القاطعة فإن بينهما تمام التوافق ولا بد من أن يلتقيا على نقطة من الحقيقة واحدة، ولأن الحق لا يتعدد قطعاً في الأمور الاعتقادية ولا في الكائنات الثابتة، أي إذا رسمت خطأ مستقيماً بين نقطتين، وأردت أن ترسم بين هاتين النقطتين خطأ مستقيماً ثانياً لا بد من أن ينطبق على الأول تمام الانطباق، فإذا كان الخط الأول هو العلم والثاني هو الدين فلا بد من تطابق كامل، أما إذا كان أول خط لم يمس النقطة الثانية أي كان منحرفاً و الخط الثاني يمس النقطة الثانية فستجد فرقاً بينهما، فالأول لن يمر من هاتين النقطتين.

## ينبغي على المسلم أن لا يدافع عن الدين بنفي حقيقة علمية ثابتة فيه يكون سبباً في طعن الآخرين به:

في عهد الغزالي علماء درسوا أن الكسوف والخسوف مبنيان على قاعدة يقولون: إنه في يوم ٢٣ الشهر الثالث الساعة الثامنة في الليل يخسف القمر هذا علم، و يوجد دورة حول الأرض و حول القمر فإذا وقع القمر بين الأرض و الشمس كان الكسوف، و إذا وقعت الأرض بين الشمس و القمر كان الخسوف، ففي عهد الغزالي اكتشف العلماء قانوناً للخسوف و الكسوف فلما أذاعوا به قام عليهم رجال الدين و اتهموهم بالزندقة و الكفر، فجاء العالم الغزالي الباحث فرد عليهم و قال: " ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا العلم " معرفة الكسوف والخسوف " من الدين فقد جنى على الدين و ضعف أمره، فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية و حسابية لا تبقى معها ريباً، فمن يطلع عليها و يتحقق أدلتها إذا قيل له: إن هذا خلاف الشرع لم يرتب فيه و إنما يرتاب بالشرع ". إذا قلت لأحدٍ في أوروبا إن هناك عالماً في البلاد الإسلامية ينكر أن تكون الأرض كروية فهل يشك بعلمه أم يشك بالدين ؟ يشك بالدين طبعاً، إذا قلت له إن العالم الإسلامي الكبير ينكر أن تكون الأرض كروية جاء بمجلة في بعض الدول الأجنبية، كتبوا فيها فلان العالم الفلاني يقول الأرض مسطحة في عام ١٩٧٥، إذا قرأ الناس هذا الخبر بخطٍ عريض و قد ذهبوا إلى القمر و رأوا الأرض بأمر أعينهم كرةً وصوروها و المجلات العلمية طافحة بصور الأرض وهي كرة، والأقمار الصناعية تصور كل دقيقة، الأرض كرة وهناك من رآها كرة، فالإمام الغزالي يقول " إن هذا الذي يطلع على هذه الحقائق إن قيل له جهلاً إنها خلاف الشرع إنما يرتاب في الدين ولا يرتاب من هذه الحقائق و عندئذٍ يكون كمن طعن في الدين " فلا تتسرع لأن العلم لا يناقض الدين أبداً، ولا تنف شيئاً ثابتاً علمياً دفاعاً عن الدين فإن الدين لا ينقضه. والنبي عليه الصلاة و السلام لما توفي ابنه إبراهيم كسفت الشمس وقتها مصادفة فقال الصحابة: لقد كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال عليه الصلاة و السلام و هو العالم المُدقق:

**" أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت واحدٍ من خلقه ولا لحياته "**

(ورد في الأثر)

هذه آية كونية.

لا تدافع عن الدين برد الحقائق العلمية الصحيحة، إن هذه الحقيقة تتوافق مع الدين إذا قلنا هناك زلزال فالزلازل له تفسيرات، حركة في باطن الأرض أدت إلى اهتزاز القشرة وتفسيرها معقد جداً، وأقول الزلزال من الله عز وجل هذا كلام صحيح، لا يمنع أن يكون للزلزال تفسيرٌ علمي جيولوجي وتفسير ديني التفسيران يتوافقان ويتكاملان، وهذا الزلزال سببه اضطراب الأرض ومسبب السبب هو الله عز وجل قضية سهلة جداً، إذا قلت إن هنا زلزالاً أصاب قريةً فأهلكها لأنها فاسدة فهذا

كلام صحيح و كلام ديني، و إذا قلت إن الزلزال هو اضطراب في القشرة الأرضية وانزياح الطبقات عن بعضها، وتسرب بعض المائع الناري إلى الطبقات العليا، وخروج بركان أيضاً فصحيح. وهذا العلم لا يتناقض مع الدين إطلاقاً بل يلتقيان ويتوافقان.

انطلاقاً من هذا الكلام، إذا مرض للإنسان ولد فعليه أن يأخذه إلى الطبيب و يشتري الدواء و يعطيه إياه ثم يتوكل على رب الأرباب اعقلها وتوكل هذا هو الدين، لذلك اطمئنوا لن تكتشف حقيقة علمية حتى نهاية الحياة تناقض ما في القرآن لأن هذا الكلام كلامه وهذا الكون خلقه، ولا يعقل أن يكون في كلامه تناقض أو في كلامه ما يناقض خلقه.

**والحمد لله رب العالمين**